القَصِيدَةُ الشّقْرَاطِسِيَّة

فِي مَدْحِ المُصْطَفَى خَيْرِ البَرِيَّة

تأليف

أبي محمد عبد الله بن أبي زكرياء
التوزري الشقراطسي
(ت466هـ)

باعتناء
نزار حمادي

دار الإمام ابن عرفة
- تونس -



بسم الله الرحمن الرحيم

بسم الله الرحمن الرحيم

الحَمْدُ لِلَّهِ مِنَّا بَاعِثِ الرُّسُلِ ... هَدَى بِأَحْمَدَ مَنَّا أَحْمَدَ السُّبُلِ
خَيْرِ الْبَرِيَّةِ مِنْ بَدْوٍ وَمِنْ حَضَرِ ... وَأَكْرَمِ الخَلْقِ مِنْ حَافٍ[1] وَمُنْتَعِلِ
تَوْرَاةُ مُوسَى أَتَتْ عَنْهُ[2] فَصَدَّقَهَا ... إِنْجِيلُ عِيسَى بِحَقٍّ غَيْرِ مُفْتَعَلِ
أَخْبَارُ أَحْبَارِ أَهْلِ الكُتْبِ قَدْ وَرَدَتْ ... عَمَّا رَأَوْا وَرَوَوْا فِي الْأَعْصُرِ الْأُوَلِ
ضَاءَتْ لِمَوْلِدِهِ الْآفَاقُ وَاتَّصَلَتْ ... بُشْرَى الْهَوَاتِفِ فِى الْإِشْرَاقِ وَالطَّفَلِ[3]
وَصَرْحُ كِسْرَى[4] تَدَاعَى مِنْ قَوَاعِدِهِ ... وَانْقَضَّ[5] مُنْكَسِرَ الْأَرْجَاءِ ذَا مَيَلِ[6]
وَنَارُ فَارِسَ لَمْ تُوقَدْ وَمَا خَمَدَتْ ... مُذْ أَلْفِ عَامٍ وَنَهْرُ الْقَوْمِ لَمْ يَسِلِ
خَرَّتْ[7] لَمَبْعَثِهِ الْأَوْثَانُ وَانْبَعَثَتْ[8] ... ثَوَاقِبُ الشُّهْبِ تَرْمِى الْجِنَّ بِالشُّعَلِ
وَمَنْطِقُ الذِّيبِ بِالتَّصْدِيقِ مُعْجِزَةٌ ... مَعَ الذِّرَاعِ وَنُطْقُ الْعَيْرِ[9] وَالْجَمَلِ
وَفِي دُعَائِكَ بِالْأَشْجَارِ حِينَ أَتَتْ ... تَمْشِي بِأَمْرِكَ فِي أَغْصَانِهَا الذُّلَلِ[10]
وَقُلْتَ عُودِي فَعَادَتْ فِي مَنَابِتِهَا ... تِلْكَ الْعُرُوقُ بِإِذْنِ اللَّهِ لَمْ تَمِلِ[11]
وَالسَّرْحُ[12] بِالشَّامِ لَمَّا جِئْتَهَا سَجَدَتْ ... شُمٌّ[13] الذَّوَائِبِ[14] مِنْ أَفْنَانِهَا الْخُضُلِ[1]

---

(1) مَن لا نَعْل له.
(2) أي: أتت مخبرةً عنه.
(3) أي: والعشيّ
(4) مَلِك فارس
(5) أي: تصدّع.
(6) أي: ذا اعوجاج.
(7) أي: سقطت.
(8) أي: انطلقت وأسرعت
(9) أي: الحمار
(10) أي: الناعمة المتدلية
(11) أي: لم تعوج تلك العروق
(12) جمع سَرْحَة، شجرة طويلة واسعة لا شوك فيها.
(13) أي: مرتفعة
(14) جمع ذؤابة: أطراف الأغصان

وَالْجِذْعُ[2] حَنَّ[3] لِأَنْ فَارَقْتَهُ أَسَفاً[4] حَنِينَ ثَكْلَى[5] شَجَتْهَا[6] لَوْعَةُ[7] الثَّكَلِ[8]
مَا صَبْرُ[9] مَنْ صَارَ مِنْ عَيْنٍ عَلَى أَثَرِ وَحَالُ مَنْ حَالَ[10] عَنْ حَالٍ[11] إِلَى عُطُلِ
حَيَى فَمَاتَ سُكُونًا ثُمَّ مَاتَ لَدُنْ[12] حَيَى حَنِيناً فَأَضْحَى غَايَةَ الْمَثَلِ[13]
وَالشَّاةُ[14] لَمَّا مَسَحْتَ الْكَفَّ مِنْكَ عَلَى جَهْدِ[15] الْهُزَالِ بِأَوْصَالٍ[16] لَهَا قُحُلِ[17]
سَحَّتْ[18] بِدِرَّةِ شَكْرَى[19] الضَّرْعِ حَافِلَةً فَرَوَّتِ الرَّكْبَ بَعْدَ النَّهْلِ[20] بِالْعَلَلِ[21]
وَآيَةُ الْغَارِ إِذْ وُقِّيتَ فِي حُجُبٍ عَنْ كُلِّ رِجْسٍ لِدِينِ الْكُفْرِ مُنْتَحِلِ
وَقَالَ صَاحِبُكَ الصِّدِّيقُ كَيْفَ بِنَا وَنَحْنُ مِنْهُمْ بِمَرْأَى النَّاظِرِ العَجِلِ
فَقُلْتَ لَا تَحْزَنْ إِنَّ اللَّهَ ثَالِثُنَا وَكُنْتَ فِي حُجْبِ سِتْرٍ مِنْهُ مُنْسَدِلِ
حَمَّتْ لَدَيْكَ حَمَامُ الْوَحْشِ جَاثِمَةً كَيْدًا لِكُلِّ غَوِيِّ الْقَلْبِ مُخْتَبِلِ
وَالْعَنْكَبُوتُ أَجَادَتْ حَوْكَ حُلَّتِهَا فَمَا تُخَالُ خِلَالَ النَّسْجِ مِنْ خَلَلِ

---

(1) أي: الناعمة
(2) قطعة خشب من النخل
(3) أي: مالَ وصوّت.
(4) أي: حزناً
(5) الثكلى: التي فقدت ولدها
(6) أي: أحزنتها
(7) حرقة القلب من وجع أو شوق
(8) أي: الفَقْد
(9) هو استفهام إنكاري، أي: ما له صبرٌ.
(10) أي: تغير وانتقل مما كان عليه.
(11) الحالي: الذي عليه الحَلْيُ: وهو ما يزين به من المصوغ.
(12) ظرف بمعنى: عندَ
(13) المراد أن الجذع حين كان قريبا من النبي ﷺ كان حيا بالقرب، وهو مع ذلك في هيئة الميت بسكونه وعدم حركته، وحين بَعُد عنه النبي ﷺ مات للبعد ولفقد بركته ﷺ، وحيِيَ بحركته وحنينه لأن ذلك من أوصاف الحيّ، فصار غاية المثل بكونه حيا ميتا في الحالين معاً.
(14) شاة أم معبد.
(15) الجَهْد: المشقة.
(16) أي: أعضاء
(17) جمع قاحِل: اليابس من الجلود.
(18) أي: صبّت.
(19) الشكرى: الملأى من اللبن.
(20) النهل: الشرب أول الورود.
(21) الشرب الثاني بعد الأول
(22) أي: الناعمة

قَالُوا وَجَاءَتْ إِلَيْهِ سَرْحَةٌ سَتَرَتْ ... وَجْهَ النَّبِيِّ بِأَغْصَانٍ لَهَا هُدَلِ

وَفِي سُرَاقَةَ آيَاتٌ مُبَيَّنَةٌ إِذْ ... سَاخَتِ الْحُجْرُ مِنْ وَحْلٍ بِلَا وَحَلِ

عَرَجْتَ تَخْتَرِقُ السَّبْعَ الطِّبَاقَ إِلَى ... مَقَامِ زُلْفَى كَرِيمٍ قُمْتَ فِيهِ عَلِ

عَنْ قَابِ قَوْسَيْنِ أَوْ أَدْنَى هَبَطْتَ وَلَمْ ... تَسْتَكْمِلِ اللَّيْلَ بَيْنَ الْمَرِّ وَالْقَفَلِ

دَعَوْتَ لِلْخَلْقِ عَامَ الْمَحْلِ مُبْتَهِلاً ... أَفْدِيكَ بِالْخَلْقِ مِنْ دَاعٍ وَمُبْتَهِلِ

صَعَّدْتَ كَفَّيْكَ إِذْ كَفَّ الْغَمَامُ فَمَا ... صَوَّبْتَ إِلَّا بِصَوْبِ الْوَاكِفِ الْهَطِلِ

أَرَاقَ بِالْأَرْضِ ثَجًا صَوْبُ رَيِّقِهِ ... فَحَلَّ بِالْأَرْضِ نَسْجًا رَائِقَ الْحُلَلِ

زَهْرٌ مِنَ النُّورِ حَلَّتْ رَوْضَ أَرْضِهِمُ ... زَهْراً مِنَ النُّورِ صَافِي النَّبْتِ مُكْتَمِلِ

مِنْ كُلِّ غُصْنٍ نَضِيرٍ مُورِقٍ خَضِرٍ ... وَكُلِّ نُورٍ نَضِيدٍ مُونِقٍ خَضِلِ

تَحِيَّةٌ أَحْيَتِ الْأَحْيَاءِ مِنْ مُضَرٍ ... بَعْدَ الْمَضَرَّةِ تَرْوِي السُّبْلَ بِالسِّبَلِ

دَامَتْ عَلَى الْأَرْضِ سَبْعًا غَيْرَ مُقْلِعَةٍ ... لَوْلَا دُعَاؤُكَ بِالْإِقْلَاعِ لَمْ تَزُلِ

وَيَوْمَ زَوْرِكَ بِالزَّوْرَاءِ إِذْ صَدَرُوا ... مِنْ يُمْنِ كَفِّكَ عَنْ أُعْجُوبَةٍ مَثَلِ

وَالْمَاءُ يَنْبُعُ جُوداً مِنْ أَنَامِلِهَا ... وَسْطَ الْإِنَاءِ بِلَا نَهْرٍ وَلَا وَشَلِ

حَتَّى تَوَضَّأَ مِنْهُ الْقَوْمُ وَاغْتَرَفُوا ... وَهُمْ ثَلَاثُ مِئَيْنِ جَمْعُ مُحْتَفِلِ

أَشْبَعْتَ بِالصَّاعِ أَلْفًا مُرْمَلِينَ كَمَا ... أَشْبَعْتَ أَلْفاً وَنِصْفَ الْأَلْفِ مِنْ سَمِلِ

وَعَادَ مَا شُبِعَ الْأَلْفُ الْجِيَاعُ بِهِ ... كَمَا بَدْوا فِيهِ لَمْ يَنْقُصْ وَلَمْ يَحُلِ

أَعْجَزْتَ بِالْوَحْيِ أَرْبَابَ الْبَلَاغَةِ فِي ... عَصْرِ الْبَيَانِ فَضَلَّتْ أَوْجُهُ الْجِيَلِ

سَأَلْتَهُمْ سُورَةً فِي مِثْلِ حِكْمَتِهِ ... فَتَلَّهُمْ عَنْهُ حَيْنُ الْعَجْزِ حِينَ تُلِي

فَرَامَ رِجْسٌ كَذُوبٌ أَنْ يُعَارِضَهُ ... بِسُخْفِ إِفْكٍ فَلَمْ يُحْسِنْ وَلَمْ يُطِلِ

مُثَبَّجٍ بِرَكِيكِ الْإِفْكِ مُلْتَبِسٍ ... مُلَجْلَجٍ بِزَرِيِّ الزُّورِ وَالْخَطَلِ

يَمُجُّ أَوَّلَ حَرْفٍ سَمْعُ سَامِعِهِ ... وَيَعْتَرِيهِ كَلَالُ الْعَجْزِ وَالْمَلَلِ

كَأَنَّهُ مَنْطِقُ الْوَرْهَاءِ شَذَّبَهُ ... لَبْسٌ مِنَ الْخَبْلِ أَوْ مَسٌّ مِنَ الْخَبَلِ

أَمَرَّتِ الْبِئْرُ بَلْ غَارَتْ بِمَجَّتِهِ ... فِيهَا وَأَعْمَى بَصِيرَ الْعَيْنِ بِالتَّفَلِ

وَأَيْبَسَ الضَّرْعَ مِنْهُ شُؤْمُ رَاحَتِهِ ... مِنْ بَعْدِ إِرْسَالِ رُسْلٍ مِنْهُ مُنْهَمِلِ

بَرِئْتُ مِنْ دِينِ قَوْمٍ لَا قِوَامَ لَهُمْ ... عُقُولُهُمْ مِنْ وَثَاقِ الْغَيِّ فِي عُقُلِ

يَسْتَخْبِرُونَ خَفِيَّ الْغَيْبِ مِنْ حَجَرٍ ... صَلْدٍ وَيَرْجُونَ غَوْثَ النَّصْرِ مِنْ هُبَلِ

نَالُوا أَذًى مِنْكَ لَوْلَا حِلْمُ خَالِقِهِمْ ... وَحُجَّةُ اللَّهِ بِالْإِعْذَارِ لَمْ تُنَلِ

وَاسْتَضْعَفُوا أَهْلَ دِينِ اللَّهِ فَاصْطَبَرُوا ... لِكُلِّ مُعْضِلِ خَطْبٍ فَادِحٍ جَلَلِ

لَاقَى بِلَالٌ بَلَاءً مِنْ أُمَيَّةَ قَدْ ... أَحَلَّهُ الصَّبْرُ فِيهِ أَكْرَمَ النُّزُلِ

إِذْ أَجْهَدُوهُ بِضَنْكِ الْأَسْرِ وَهْوَ عَلَى ... شَدَائِدِ الْأَزْلِ ثَبْتُ الْأَزْرِ لَمْ يَزَلِ

أَلْقَوْهُ بَطْحاً بِرَمْضَاءِ الْبِطَاحِ وَقَدْ ... عَالَوْا عَلَيْهِ صُخُوراً جَمَّةَ الثِّقَلِ

يُوَحِّدُ اللَّهَ إِخْلَاصًا وَقَدْ ظَهَرَتْ ... بِظَهْرِهِ كَنُدُوبِ الطَّلِّ فِي الطَّلَلِ

إِنْ قُدَّ ظَهْرُ وَلِيِّ اللَّهِ مِنْ دُبُرٍ ... قَدْ قُدَّ قَلْبُ عَدُوِّ اللَّهِ مِنْ قُبُلِ

نَفَرْتَ فِي نَفَرٍ لَمْ تَرْضَ أَنْفُسُهُمْ ... إِذْ نَافَرُوا الرِّجْسَ إِلَّا الْقُدْسَ فِي نَفَلِ

بِأَنْفُسٍ بُدِّلَتْ فِي الْخُلْدِ إِذْ بُذِلَتْ ... عَنْ صِدْقِ بَذْلٍ بِبَدْرٍ أَكْرَمَ الْبَدَلِ

مِنْ كُلِّ مُهْتَصِرٍ لِلَّهِ مُنْتَصِرٍ ... بِالْبِيضِ مُخْتَصِرٍ بِالسُّمْرِ مُعْتَقِلِ

يَمْشِي إِلَى الْمَوْتِ عَالِي الْكَعْبِ مُعْتَقِلاً ... أَضْمَا الْكُعُوبِ كَمَشْيِ الْكَاعِبِ الْفُضُلِ

قَدْ قَاتَلُوا دُونَكَ الْأَقْتَالَ[1] عَنْ جَلَدٍ ... وَجَالَدُوا بِجِلَادِ الْبِيضِ وَالْجَدِلِ

وَصَلْتَهُمْ وَقَطَعْتَ الْأَقْرَبِينَ مَعًا ... فِي اللَّهِ لَوْلَاهُ لَمْ تَقْطَعْ وَلَمْ تَصِلِ

---

(١) جمع قِتْلٍ: العَدُوُّ.

وَجَاءَ جِبْرِيلُ فِي جُنْدٍ لَهُ عَدَدٌ   لَمْ تَبْتَذِلْهَا أَكُفُّ الْخَلْقِ بِالْعَمَلِ
بَيْضٌ مِنَ الْعَوْنِ لَمْ تُسْتَلَّ مِنْ غَمَدٍ   خَيْلٌ مِنَ الْكَوْنِ لَمْ تَسْتَنَّ فِي طِيَلِ
أَحْبِبْ بِخَيْلٍ مِنَ التَّكْوِينِ قَدْ جُنِبَتْ   لِجَانِبٍ عَنْ جَنَابِ الْحَقِّ مُعْتَزِلِ
أَعْمَيْتَ جَيْشًا بِكَفٍّ مِنْ حَصىً فَجَثَوْا   وَعُلِّقُوا عَنْ حَرَاكِ الثَّقْلِ بِالثَّقَلِ
وَدَعْوَةٍ بِفَنَاءِ الْبَيْتِ صَادِقَةٍ   غَدَا أُمَيَّةُ مِنْهَا شَرَّ مُنْخَزِلِ
غَادَرْتَ جَهْلَ أَبِي جَهْلٍ بِمُجْهَلَةٍ   وَشَابَ شَيْبَةُ قَبْلَ الْمَوْتِ مِنْ وَجَلِ
وَعُتْبَةُ الشَّرِّ لَمْ يُعْتِبْ فَتَعْطِفُهُ   مِنْكَ الْعَوَاطِفُ قَبْلَ الْحَيْنِ فِي مَهَلِ
وَعُقْبَةُ الْغُمْرُ عُقْبَاهُ لِشِقْوَتِهِ   أَنْ ظَلَّ مِنْ غَمْرَاتِ الْخِزْيِ فِي ظُلَلِ
وَكُلُّ أَشْوَسَ عَاتِي الْقَلْبِ مُنْقَلِبٍ   جَعَلْتَهُ بِقَلِيبِ الْبِئْرِ كَالْجُعَلِ
وَجَاثِمٍ بِمُثَارِ النَّقْعِ مُشْتَعِلٍ   بِجَاحِمٍ مِنْ أَوَارِ الثَّكْلِ مُشْتَغِلِ
عَقَدْتَ بِالْخِزْيِ فِي عِطْفَيْ مُقَلَّدِهِ   طَوْقَ الْحَمَامَةِ بَاقٍ غَيْرَ مُنْتَقِلِ
أَمْسَى خَلِيلَ صَغَارٍ بَعْدَ نَخْوَتِهِ   بِالْأَمْسِ فِي خُيَلَاءِ الْخَيْلِ وَالْخَوَلِ
دَامٍ يُدِيمُ زَفِيراً فِي جَوَانِحِهِ   جُنْحٌ مِنَ الشَّكِّ لَمْ يَجْنَحْ وَلَمْ يَمِلِ
يُقَادُ فِي الْقِدِّ خَنْقاً مُشْرَبًا حَنَقًا   يَمْشِي بِهِ الذُّعْرُ مَشْيَ الشَّارِبِ الثَّمِلِ
أَوْصَالُهُ مِنْ صَلِيلِ الْغُلِّ فِي عِلَلٍ   وَقَلْبُهُ مِنْ غَلِيلِ الْغِلِّ فِي غُلَلِ
يَظَلُّ يَحْجُلُ سَاجِي الطَّرْفِ خَافِضَهُ   لِمَسْكَةِ الْحِجْلِ لَا مِنْ مُسْكَةِ الْخَجَلِ
أَرَحْتَ بِالسَّيْفِ ظَهْرَ الْأَرْضِ مِنْ نَفَرٍ   أَزَحْتَ بِالصِّدْقِ مِنْهُمْ كَاذِبَ الْعِلَلِ
تَرَكْتَ بِالْكُفْرِ صَدْعًا غَيْرَ مُلْتَئِمٍ   وَآبَ عَنْكَ بِقَرْحٍ غَيْرِ مُنْدَمِلِ
وَأَفْلَتَ السَّيْفَ مِنْهُمْ كُلُّ ذِي أَسَفٍ   عَلَى الْحِمَامِ حَمَاهُ آجِلُ الْأَجَلِ
قَدْ أَعْتَقَتْهُ عِتَاقُ الْخَيْلِ وَهْوَ يَرَى   بِهِ إِلَى رِقِّ مَوْتٍ رِقَّةَ الْغَزَلِ

فَكَمْ بِبَكَّةَ مِنْ بَاكٍ وَبَاكِيَةٍ ... بِفَيْضِ سَجْلٍ مِنَ الْآمَاقِ مُنْسَجِلِ
وَكَاسِفِ الْبَالِ بَالِي الصَّبْرِ جُدْتَ لَهُ ... بِوَابِلٍ مِنْ وَبَالِ الْخِزْيِ مُتَّصِلِ
فُؤَادُهُ مِنْ سَعِيرِ الْغَيْظِ فِي غُلَلٍ ... وَعَيْنُهُ مِنْ غَزِيرِ الدَّمْعِ فِي غُلَلِ
قَدْ أُسْعِرَتْ مِنْهُ صَدْرًا غَيْرَ مُصْطَبِرٍ ... وَحُمِّلَتْ مِنْهُ صَبْرًا غَيْرَ مُحْتَمِلِ
وَيَوْمَ مَكَّةَ إِذْ أَشْرَفْتَ فِي أُمَمٍ ... تَضِيقُ عَنْهَا فِجَاجُ الْوَعْثِ وَالسَّهَلِ
خَوَافِقٌ ضَاقَ ذَرْعُ الْخَافِقِينَ بِهَا ... فِي قَاتِمٍ مِنْ عَجَاجِ الْخَيْلِ وَالْإِبِلِ
وَجَحْفَلٍ قَذَفِ الْأَرْجَاءِ ذِي لَجَبٍ ... عَرَمْرَمٍ كَزُهَاءِ السَّيْلِ مُنْسَجِلِ
وَأَنْتَ صَلَّى عَلَيْكَ اللَّهُ تَقْدُمُهُمْ ... فِي بَهْوِ إِشْرَاقِ نُورٍ مِنْكَ مُكْتَمِلِ
تُنِيرُ فَوْقَ أَغَرِّ الْوَجْهِ مُنْتَجَبٍ ... مُتَوَّجٍ بِعَزِيزِ النَّصْرِ مُقْتَبَلِ
تَسْمُو أَمَامَ جُنُودِ اللَّهِ مُرْتَدِياً ... ثَوْبَ الْوَقَارِ لِأَمْرِ اللَّهِ مُمْتَثِلِ
خَشَعْتَ تَحْتَ بَهَاءِ الْعِزِّ حِينَ سَمَتْ ... بِكَ الْمَهَابَةُ فِعْلَ الْخَاضِعِ الْوَجِلِ
وَقَدْ تَبَاشَرَ أَمْلَاكُ السَّمَاءِ بِمَا ... مُلِّكْتَ إِذْ نِلْتَ مِنْهُ غَايَةَ الْأَمَلِ
وَالْأَرْضُ تَرْجُفُ مِنْ زَهْوٍ وَمِنْ فَرَقٍ ... وَالْجَوُّ يَزْهَرُ إِشْرَاقًا مِنَ الْجَذَلِ
وَالْخَيْلُ تَخْتَالُ زَهْوًا فِي أَعِنَّتِهَا ... وَالْعِيسُ تَنْثَالُ زَهْواً فِي ثِنَى الْجُدُلِ
لَوْلَا الَّذِي خَطَّتِ الْأَقْلَامُ مِنْ قَدَرٍ ... وَسَابِقٌ مِنْ قَضَاءٍ غَيْرِ ذِي حِوَلِ
أَهَلَّ ثَهْلَانُ بِالتَّهْلِيلِ مِنْ طَرَبٍ ... وَذَابَ يَذْبُلُ تَهْلِيلًا مِنَ الذُّبُلِ
الْمُلْكُ لِلَّهِ هَذَا عِزُّ مَنْ عُقِدَتْ ... لَهُ النُّبُوَّةُ فَوْقَ الْعَرْشِ فِي الْأَزَلِ
شَعَبْتَ صَدْعَ قُرَيْشٍ بَعْدَمَا قُذِفَتْ ... بِهِمْ شُعُوبُ شِعَابِ السَّهْلِ وَالْقُلَلِ
قَالُوا مُحَمَّدُ قَدْ زَارَتْ كَتَائِبُهُ ... كَالْأُسْدِ تَزْأَرُ فِي أَنْيَابِهَا الْعُضُلِ[1]

(1) جمع عضيلة: كبيرة ضخمة.

فَوَيْــــلُ مَكَّـــةَ مِـــنْ آثَـــارِ وَطْأَتِـــهِ وَوَيْــلُ أُمّ قُــرَيْشٍ مِــنْ جَــوَى الْهَبَــلِ
فَجُـدْتَ عَفْـوًا بِفَـضْلِ الْعَفْـوِ مِنْـكَ وَلَـمْ تُلْمِـــمْ وَلَا بِـــأَلِيمِ اللَّـــوْمِ وَالْعَـــذَلِ
أَضْرَبْـتَ بِالـصَّفْحِ صَـفْحًا عَـنْ طَـوَائِلِهِمْ طَــوْلًا أَطَــالَ مَقِيــلَ النَّــوْمِ فِي الْمُقَــلِ
رَحِمْـــتَ وَاشِـــجَ أَرْحَـــامٍ أُتِـــيحَ لَهَـــا تَحْــتَ الْوَشِــيجِ نَـشِيجُ الــرَّوْعِ وَالْوَجَــلِ
عَاذُوا بِظِـــلِّ كَـــرِيمِ الْعَفْـــوِ ذِي لَطَـــفٍ مُبَـــارَكِ الْوَجْـــهِ بِـــالتَّوْفِيقِ مُـــشْتَمِلِ
أَزْكَى الْخَلِيقَـــــةِ أَخْلَاقـــــاً وَأَطْهَرُهَـــــا وَأَكْـرَمُ النَّـاسِ صَـفْحًا عَـنْ ذَوِي الزَّلَـلِ
زَانَ الْخُـــشُوعَ وَقَـــارٌ مِنْـــهُ فِي خَفَـــرٍ أَرَقُّ مِـــنْ خَفَـــرِ الْعَـــذْرَاءِ فِي الْكِلَـــلِ
وَطُفْــتَ بِالْبَيْــتِ مَحْبُــورًا وَطَــافَ بِــهِ مَــنْ كَانَ عَنْــهُ قُبَيْــلَ الْفَـتْحِ فِي شُـغُلِ
وَالْكُفْــرُ فِي ظُلُمَــاتِ الْخِــزْيِ مُــرْتَكِسٌ ثَــاوٍ بِمَنْزِلَــةِ الْبَهْمُــوتِ[1] مِــنْ زُحَــلِ
حَجَــزْتَ بِــالْأَمْنِ أَقْطَــارَ الْحِجَــازِ مَعًــا وَمِلْـتَ بِـالْخَوْفِ عَـنْ خَيْـفٍ وَعَـنْ مَلَـلِ
وَحَـــلَّ أَمْـــنٌ وَيُمْـــنٌ مِنْـــكَ فِي يَمَـــنٍ لَمَّــا أَجَابَــتْ إِلَى الْإِيمَــانِ عَــنْ عَجَــلِ
وَأَصْـــبَحَ الدِّيـــنُ قَـــدْ حُفَّـــتْ جَوَانِبُـــهُ بِعِـــزَّةِ النَّـــصْرِ وَاسْـــتَوْلَى عَلَى الْمِلَـــلِ
قَـــدْ طَـــاعَ مُنْحَـــرِفٌ مِـــنْهُمْ لِمُعْـــتَرِفٍ وَانْقَـــادَ مُنْعَـــدِلٌ مِـــنْهُمْ لِمُعْتَـــدِلِ
أَحْبِـــبْ بِخُلَّـــةِ أَهْـــلِ الْحَـــقِّ فِي الْخُلَـــلِ وَعِـــــزِّ دَوْلَتِـــــهِ الْغَـــــرَّاءِ فِي الدُّوَلِ
أَمَّ الْيَمَامَـــــةَ يَـــــوْمٌ مِنْـــــهُ مُـــــصْطَلِمٌ وَحَـــلَّ بِالـــشَّامِ شُـــؤْمٌ غَـــيْرُ مُرْتَحِـــلِ
تَعَرَّقَـــتْ مِنْـــهُ أَعْـــرَاقُ الْعِـــرَاقِ وَلَـــمْ يُــتْرَكْ مِــنَ الــتُّرْكِ عَظْــمٌ غَــيْرُ مُنْتَثِــلِ
وَلَــمْ يَبْــقَ لِلْفُــرْسِ لَيْــثٌ غَــيْرَ مُفْــتَرَسٍ وَلَا مِــنَ الْحُــبْشِ جَــيْشٌ غَــيْرَ مُنْجَفِــلِ
وَلَا مِـــنَ الـــصِّينِ صَـــوْنٌ غَـــيْرَ مُبْتَـــذَلِ وَلَا مِــنَ الــرُّومِ مَــرْمًى غَــيْرَ مُنْتَــضَلِ

---

(1) وجه الأرض السفلى.

وَلَا مِــنَ النُّــوبِ جِــذْمٌ غَــيْرَ مُنْجَــذِمٍ   وَلَا مِــنَ الــزِّنْجِ جِــذْلٌ غَــيْرَ مُنْجَــدِلِ
وَنِيــلَ بِالــسَّيْفِ سَــيْفُ النِّيــلِ وَاتَّــصَلَتْ   دَعْــوَى الْجُنُــودِ فَــكُلٌّ بِــالْجِلَادِ صَــلِ
وَسُــلَّ بِــالْغَرْبِ غَــرْبُ الــسَّيْفِ إِذْ شَرِقَــتْ   بِالــشَّرْقِ قَبْــلُ صُــدُورُ الْبِــيضِ وَالْأَسَــلِ
وَعَادَ كُلُّ عَـــــدُوٍّ عَـــــزَّ جَانِبُــــــهُ   قَــدْ عَاذَ مِنْــكَ بِبَــذْلٍ غَــيْرِ مُبْتَــذَلِ
بِذِمَّـــــةِ اللَّهِ وَالْإِيمَــــانِ مُتَّـــــصِلٍ   أَوْ مِــنْ شَــبَا النَّــصْلِ بِــالْأَمْوَالِ مُنْتَــصِلِ
يَــا صِــفْوَةَ اللَّهِ قَــدْ أَصْــفَيْتُ فِيــكَ صَــفَا   صِــفْوِ الْــوِدَادِ بِــلَا شَــوْبٍ وَلَا دَخَــلِ
أَلَــسْتَ أَكْــرَمَ مَــنْ يَمْــشِي عَلَى قَــدَمٍ   مِــنَ الْبَرِيَّــةِ فَــوْقَ الــسَّهْلِ وَالْجَبَــلِ
وَأَزْلَـــفَ الْخَلْـــقِ عِنْـــدَ اللَّهِ مَنْزِلَـــةً   إِذْ قِيــلَ فِي مَــشْهَدِ الْأَشْــهَادِ وَالرُّسُــلِ
قُــمْ يَــا مُحَمَّــدُ فَاشْــفَعْ فِي الْعِبَــادِ وَقُــلْ   تُــسْمَعْ وَسَــلْ تُعْــطَ وَاشْــفَعْ عَابِــداً وَسَــلِ
وَالْكَــوْثَرُ الْحَــوْضُ يَــرْوِي النَّــاسَ مِــنْ ظَمَــإٍ   بَــرْحٍ وَيُنْقِــعُ مِنْــهُ لَاعِــجُ الْغُلَــلِ
أَصْــفَى مِــنَ الثَّلْــجِ إِشْرَاقــاً مَذَاقَتُــهُ   أَحْــلَى مِــنَ اللَّــبَنِ الْمَــضْرُوبِ بِالْعَــسَلِ
نَحَلْتُــــكَ الْــــوُدَّ عَلَيَّ إِذْ نَحَلْتُكَـــــهُ   أُحْــبَى بِحُبِّــكَ مِنْــهُ أَفْــضَلَ النِّحَــلِ
فَمَــا بِجِــلْدِي لِنُــضْجِ النَّــارِ مِــنْ جَــلَدٍ   وَمَــا بِقَلْــبِي لِهَــوْلِ الْحَــشْرِ مِــنْ قِبَــلِ
يَــا خَــالِقَ الْخَلْــقِ لَا تُحْــرِقْ بِمَــا اجْتَرَمَــتْ   يَــدَايَ وَجْــهِي مِــنْ حُــوبٍ وَمِــنْ زَلَــلِ
وَاصْــحَبْ وَصَــلِّ وَوَاصِــلْ كُلَّ صَــالِحَةٍ   عَلَى صَــفِيِّكَ فِي الْإِصْــبَاحِ وَالْأُصُــلِ

